التعددية الدينية
في فكر بديع الزمان النورسي
[تحليل ونقد]

د/ خالد محجوب
جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة

Abstract

Some contemporary Muslim thinkers have described religious pluralism as a cognitive theory that views all religions as correct and a right, While other thinkers say that pluralism is out of the general rules of the law of Islam and the doctrine of monotheism. The issue of tolerance and openness to the non-Muslims, which Islam has defined, has been the focus of the debate between the two groups.

And personal reaching, I have noticed the presence of the issue of tolerance and openness on non- Muslims through what was written by Badie Zaman Nursi in Rassael Nur, and through what was held around the idea of international forums, This is what pushed me to discuss the issue of religious pluralism according to this reformist thinker in the light of the central question that i opened the problem of this research which is: What is the concept of religious pluralism in this article?

Can the tolerance and forgiveness of Badei-Zaman in his religious life, classify him among those who are with this religious pluralism?

ملخص البحث

لقد عرف العالم الإسلامي من خلال بعض مفكريه المعاصرين التعددية الدينية بوصفها نظرية معرفية تنظر إلى الأديان كافة بمنظار الحقانية والصوابية، وهو ما عدّه مفكرون آخرون نشازا وخروجا عن القواعد العامة لشريعة الإسلام وعقيدة التوحيد، وقد شكّلت قضية التسامح والانفتاح على المخالف في مفهومها وحدودها ومآلاتها محور النقاش الدائر بين الفريقين، ومما تلمسته شخصيا حضور هذه القضية في ثنايا ما كتبه العلامة بديع الزمان النورسي في كليات رسائل النور، وهو ما دفعني إلى بحث مسألة التعددية الدينية من منظور هذا المفكر الاصلاحي بوصفه مفكرا إسلاميا معروفا بالتسامح والانفتاح على المخالفين من أهل الأديان الأخرى في ضوء التساؤل المركزي الذي دبجنا به إشكالية هذا البحث وهو: ما مفهوم التعددية الدينية في هذه المقالة؟ وهل يمكن أن يصل التسامح والعفو الذي عرف به بديع الزمان النورسي في حياته الدعوية إلى درجة الاصطفاف في محور القائلين بهذه التعددية الدينية؟

مقدمة

يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ [الحجرات 13] ويقول أيضا: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [آل عمران 64]... وبأمثال هذه الآيات التي كان الخطاب فيها موجها إلى الناس كافة، نجد أن القرآن الكريم قد رسم معالم النظرية الإسلامية المؤسِّسة لعلاقة المسلمين بغيرهم من الناس، سواء كانوا من أهل الأديان أو من أهل الأوثان، ومن بين معالم هذه النظرية احترام الآخر، واحترام حريته في اختياراته الدينية، والتعامل معه وفق مبدأ العدل المؤسس على إنسانية الإنسان، والدفاع عن المظلوم مهما كان دينه، والحفاظ على كرامة الإنسان وحريته، وفتح قنوات الحوار البنّاء معه، ونشر قيم التسامح... ومع كل هذه المعالم تبقى نظرة الإسلام إلى الآخر المختلف دينيا متسمة بالأصالة والخصوصية والتكامل، لا تحتاج للمداهنة والقفز على المبادئ من أجل طمأنة الآخر وإعطائه ضمانات تتجاوز حدود ما شرع الله ﷻ على تسامح الإسلام وقبوله بالتعدد الديني في دائرة الحقانية والصوابية.

وإذا ما رجعنا إلى المدونة الفكرية الإسلامية اليوم، نجدها غنية بالمصطلحات ذات الدلالات المعرفية المتعلقة بموضوع علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الأديان الأخرى، مثل حوار الأديان، وتحمل الاختلافات، وفن التعايش مع الآخرين، وحرية التعبير والعقيدة والتسامح... وقد تطورت هذه المصطلحات وأنشأت لنا مصطلحا جديدا يسمى «التعددية الدينية» ومبناه باختصار أن التناقض الموجود بين الأديان المختلفة ليس حقيقيا، بل متوهم مما يعني أن كل الأديان مهما كانت صورتها الظاهرة مختلفة أو متناقضة إلا أنها في حقيقة أمرها كلها على حق وصواب.

ولما كان الأستاذ بديع الزمان النورسي[1] من الشخصيات الفكرية الإصلاحية المعاصرة المعروفة بالتسامح وقبول الآخرين، خاصة أنه عاش في بيئة قريبة من المجتمعات الغربية «النصرانية» وهو ما يعني إمكانية توظيف فكره «الاستيعابي» في سياقات فكرية ليس بالضرورة أن تكون معبرة عن رأيه في مسألة التعددية الدينية، وقد تلمست شخصيا هذا الانفتاح «الزائد عن اللزوم» من خلال مشاركتي في أشغال المؤتمر الدولي التاسع حول العلامة بديع الزمان النورسي الذي انعقد بإسطنبول أيام 3/ 4/ 5 أكتوبر 2010، حيث دار نقاش حاد في إحدى الجلسات المغلقة بين بعض المشاركين وأعضاء من لجنة التنظيم، حول إشراك شخصيات يهودية أو صهيونية في

(1) ولد بديع الزمان النورسي سنة 1877م بقرية «نورس» شرق الأناضول، وتوفي سنة 1960 ودفن بمدينة أورفة وقبره غير معروف. يُعد من أبرز علماء الإصلاح في العالم الإسلامي المعاصر وفي تركيا على وجه الخصوص، ألف كثيرا من الكتب والرسائل التي ساهمت بشكل فعال في محاربة الفكر الإلحادي الذي عمل مصطفى أتاتورك على نشره في تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية، وقد جمعت رسائله في مجلدات ضخمة سميت «رسائل النور» وأكثر ما يهمنا في هذه الترجمة المختصرة أن العلامة بديع الزمان قد عاش في الفترة التي عرفت سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية، وما تلا هذا السقوط من موجات إلحاد عاتية، وإرادات الهيمنة الغربية على مخلفات «الرجل المريض»، وهي الهيمنة التي طالت الأرض لامتصاص خيراتها، كما طالت الإيمان لإسقاطه من القلوب وإعمارها بالشبهات والأفكار الهدامة التي لم تنفك تتهاطل على المجتمع الإسلامي من أجل عرقلة مسيرته الحضارية التي رسم القرآن منهجها. حيث يقول واصفا هذا الواقع المؤلم والوضع المتأزم: «إن الذي يواكب خيالاً زمن تأليف رسائل النور ونشرها يجد أن الأمة، أمة الإسلام تمر في أحلك فترات حياتها، حيث تجتاح سيول الظلمات، ظلمات الفتن العاتية أرجاء العالم الإسلامي كافة، وتغزو الشبهات والأفكار الباطلة العقول والقلوب من كل صوب، فأظلمت النفوس واختنقت الأرواح حتى انقطع الرجاء ..» [الكلمات بديع الزمان النورسي ص898].

هذا الملتقى، وقد كان تحفظ السادة المشاركين على مشاركة هؤلاء اليهود، مبنيا على أمرين مهمين: الأول: يتعلق بسياسة القطيعة مع الكيان الصهيوني في كل الفعاليات والتظاهرات الفكرية والرياضية وغيرها. والثاني: يتعلق بمآلات هذا «الانفتاح» الذي لا يستبعد أن يفضي إلى الاعتراف بالكيان سياسيا، وبحقانية دينه على المستوى الفكري أو العقائدي!

ومن المنطلق السابق رأيت أن أحرر موضوعا حول «التعددية الدينية» أي ما تعلق بالجانب الثاني من النقاش، استنادا إلى ما كتبه الأستاذ في مؤلفاته المجموعة في «رسائل النور»، مما يبدو أن له علاقة بموضوع «التعددية الدينية» من أجل إزالة اللبس والغموض الذي يمكن أن يعلق بمباحث هذا الموضوع، وقد جاءت إشكالية البحث على النحو الآتي:

ما مفهوم التعددية الدينية في هذه المقالة؟ وهل يمكن أن يصل التسامح والعفو الذي عرف به بديع الزمان النورسي في حياته الدعوية إلى درجة الاصطفاف في محور القائلين بهذه التعددية الدينية؟

للإجابة على هذا الإشكال قسمت المداخلة إلى مبحثين:

المبحث الأول: التعددية الدينية في الفكر الفلسفي المعاصر.

المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى الآخر في فكر بديع الزمان.

المبحث الأول:
التعددية الدينية في الفكر الفلسفي المعاصر

المطلب الأول: تعريف التعددية الدينية

نميز في هذا المستوى من البحث بين مصطلحين، نطلق على الأول عبارة «تعدد الأديان» وعلى الثاني عبارة «التعددية الدينية» وسبب التمييز بينهما رفع اللبس وسوء الفهم الذي قد يطرأ على الذهن بسبب الخلط بينهما، وأما الهدف من التمييز بين المصطلحين فهو بيان الفرق بينهما، وتحديد المصطلح المقصود منهما في هذا البحث.

أولا: تعدد الأديان: المقصود بمصطلح تعدد الأديان وصف ظاهرة بشرية على مستوى التصور بعيدا عن الحكم الذي يتبناه صاحب الوصف إزاء هذه الظاهرة، ولا شك أن تعدد الأديان بهذا المعنى أمر مشاهد محسوس، فهناك في أرجاء المعمورة أديان متعددة وطوائف مختلفة، تتخذ من الحياة الدينية جزء مهما في كينونتها وصيرورتها، بل إن علماء الأنثربولوجيا وبعد الأبحاث التي قاموا بها في الحفريات والآثار القديمة توصلوا إلى حقيقة علمية مفادها أنه لم توجد عبر الحقب التاريخية المدروسة مجتمعات خالية تماما من الدين.

يقول الباحث المسلم عبد الله دراز: «الذي يستقرئ الملل على كثرتها، إذا درسها دراسة مقارنة، وأخذ يعزل ما فيها من المفارقات ووجوه الاختلاف، سيجد فيها البتة وجوها من المشابهة تتلاقى عندها كل الديانات، وسيجد في نفسه إذ ذاك باعثة تصعب مقاومتها، تدفعه إلى استخلاص هذه المبادئ العامة، وجمعها في وحدة كلية يحدد بها طبيعة الدين من حيث هو. كما أنه حين يرى ظاهرة التدين حظا مشاعا في الجماعات، مشتركا بين الأمم الحاضرة والغابرة، البادية والمتحضرة، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه السؤال عن منشأ هذه الظاهرة العالمية ومصدرها...»[1].

(1) الدين عبد الله دراز ص25.

ويعبر الأستاذ النورسي عن ظاهرة التعدد المجتمعي انطلاقا من الآية القرآنية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات 13] فيقول: «أي: خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا.»[1]

ثانيا: التعددية الدينية: يعرف الدكتور عبد الكريم سروش[2] التعددية الدينية بأنها: «نظرية معرفية في باب حقانية الأديان والمتدينين تكشف الستار عن هذه الحقيقة، وهي أن الكثرة في عالم الأديان (وغير القابلة للاجتناب بحسب الظاهر) حادثة طبيعية تعكس في طياتها حقانية كثير من الأديان، وأن كثيرا من المتدينين محقين في اعتناقهم لدينهم، وأن ذلك مقتضى الجهاز الإدراكي للبشر، وتعدد أبعاد الواقع ومقتضى كون الله هاديا ويريد الخير والسعادة للبشر، وليس بسبب سوء فهمهم، أو مؤامرة قوى الانحراف والباطل، أو اتباعه الهوى والشهوات، أو سوء اختيار الإنسان، أو غلبة قوى الشيطان»[3].

من خلال التعريف السابق يتبين لنا أن التعددية الدينية تمثل نظرية وموقفا معرفيا من ظاهرة اختلاف البشر على مستوى البعد العقائدي (الديني)، وهي ترى أن تعدد الأديان ظاهرة صحية أرادها الله ﷻ، بل هي من مقتضيات كونه هاديا لكل البشر، وهي بهذا المعنى تقف في مواجهة النظرية القائلة بأن الدين الحق واحد، وكل مظاهر

(1) المكتوبات ص 413.

(2) عبد الكريم سروش: هو الاسم المستعار لحسن حاجي فرج الدباغ، من كبار المثقفين الإيرانيين الدينيين المعاصرين، من مواليد طهران سنة 1945، من مؤلفاته: بسط التجربة النبوية، القبض والبسط في الشريعة، التراث والعلمانية. الدين العلماني، التدين والسياسة، الصراطات المستقيمة.

(3) الصراطات المستقيمة عبد الكريم سروش، ترجمة أحمد قبانجي، دار الانتشار العربي، بيروت لبنان الطبعة الأولى 2009م ص7.

التدين الخارجة عن إطاره تعبر عن غواية الشيطان للإنسان وإبعاده عن قيم الفطرة السوية التي أودعها الله ﷻ فيه، وقبل الشروع في بيان موقف الأستاذ من هذه القضية لا بأس أن نفرد مطلبا خاصا للحديث عن موقف الإسلام من ظاهرتي: «تعدد الأديان» و«التعددية الدينية».

المطلب الثاني: موقف الإسلام من تعدد الأديان

يمكننا القول بأن موقف الإسلام من تعدد الأديان ينبني على قاعدتين: الأولى متعلقة بالتصور والثانية متعلقة بالممارسة والتطبيق.

أولا: تصور الإسلام لتعدد الأديان

في قاعدة التصور نجد أن الدين الحق في نظر الإسلام واحد في أصوله؛ إذ أن مصدره وحي من الله، إلى أنبيائه الذين أولهم آدم وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران 19] وقال النبي ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، ليس بيني وبينه نبي»[1] وقال أيضا: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[2].

وإذا كانت الحقيقة الدينية لا تتعدد؛ وفقا لما ورد في الحديث السابق وبقية النصوص المشابهة له، لأن تعددها وتناقضها استحالة عقلية؛ فمعنى هذا أن الدين الحق هو الإسلام، وما عداه من دين مبدل ليس حقاً، ولكن إذا نفى الإسلام تعدد الحقيقة الدينية؛ فإنه لا ينفي الحوار الديني الذي يكون هدفه تبليغ الرسالة وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك.

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه أحمد في مسنده رقم 10258 وهو حديث صحيح [مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م ج16 ص180].

بالإضافة إلى هذا فإن الإسلام ينظر إلى التعددية بمنظارين الأول مقبول في حدود جملة من الشروط المعرفية المفصلة في كتب الأصلين (الفقه والدين) والثاني مرفوض وإن اجتهد بعض المسلمين في إعطائه مسحة صوفية وأبعادا تربوية:

1 / ففي المنظور الأول نتكلم عن التعددية في فهم الدين، وهذه لا علاقة لها بذات الدين لأنها تعددية داخل الدين نفسه تهتم بالفهوم والاجتهادات المختلفة أو المتعددة، لذلك فهي تعددية تعود إلى من يخاطبهم الدين والذين من شأنهم فهمه، بغض النظر عن كون هذا الدين حقا أو باطلا. وقد أجمع العلماء المسلمون على أنه لا يوجد فهم للإسلام يحظى بالقداسة، [لكن الفهم المؤسس محترم وإن كان ظنيا] وفي الوقت ذاته توجد ضرورات دينية مسلم بها لدى كل المسلمين وتحظى بالقداسة كالتوحيد والنبوة والمعاد ووجوب الصلاة...

2/ وفي المنظور الثاني نتكلم عن التعددية في ذات الدين، والمقصود بها أن الأديان مهما اختلفت أو تناقضت فهي تمثل طرقا مختلفة تفضي إلى الحقيقة الواحدة، وهي مرفوضة عند جماهير المسلمين، وإن كان بعض من يتبناها يستدلون مثلا بما قاله محي الدين بن عربي[1] الأندلسي في منظومته «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق»:

---

(1) محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي.(ت638ه) صاحب «فصوص الحكم»، صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة فقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة وعدها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين وعدها طائفة من متشابه القول وأن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان وأنه صحيح في نفسه كبير القدر. صنف كتبا كثيرة منها ما هو كراسة واحدة ومنها ما هو مِئَة مجلدة وما بينهما وقال ابن الأبار: هو من إشبيلية وأصله من سبتة وأخذ عن مشيخة بلدته ومال إلى الآداب وكتب لبعض الولاة ثم ترك ذلك ورحل إلى المشرق حاجا ولم يعد وكان يحدث بالإجازة العامة عن السلفي ويقول بها وبرع في علم التصوف. [لسان الميزان ابن حجر العسقلاني المحقق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: دار البشائر الإسلامي الطبعة: الأولى، 2002 م، ج7 ص391].

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكــن دينــي إلى دينــه داني
وقد صار قلبي قابلاً كـل صـورة فمرعى الغزلان وبيـت لأوثـان
وديــر لرهبــان وكعبــة طــائف وألواح توراة ومصـحف قـرآن
أدين بدين الحـب أنـى توجهـت ركائبه فالـدين دينـي وإيـماني[1]

والسؤال الذي نطرحه في هذا المستوى: إذا كان الأستاذ النورسي قد أبدى حفاوته بالشيخ محي الدين بن عربي في مواطن كثيرة من رسائل النور[2]، فما هو الموقف الذي سيتخذه إزاء هذه القضية بالذات لو طرحت عليه؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال المبحث الثاني في هذه المقالة.

ثانيا: التطبيقات العملية لقاعدة التصور

إذا ما جئنا إلى التطبيقات العملية لقاعدة التصور السابقة والقائمة على مبدأ أحادية الحق، نجد أنها تطبيقات بلغت من الاستيعابية والمرونة درجة كبيرة جدا، والآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى كثيرة ومحكمة، منها قوله عز وجل ناهيا عن الإكراه في الدين: ﴿ **لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ** ﴾[البقرة 256] وقوله في معرض حجاج المخالفين وتقرير حرية اختيار العقيدة: ﴿ **وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ** ﴾ [الكهف 29] وقد ألمعنا سابقا إلى موقف الإسلام المتسامح مع الأديان الأخرى، واعترافه بحقانية الرسالات والنبوات السابقة لنبوة محمد ﷺ ورسالته، ولكن هذا التسامح لا يمكن أن يرتقي إلى درجة الاعتراف بصوابية تلك الأديان بعد مجيء الإسلام، لأنه قرر أن الصواب منحصر فقط في اتباع شريعة النبي محمد ﷺ، خاصة

(1) الصراطات المستقيمة، عبد الكريم سروش، مرجع سابق ص 7.

(2) يقول عنه مثلا: «فالشيخ ابن عربي له مقام خاص لذاته، وهو من المقبولين، إلا أنه بكشفياته التي لا ضوابط لها خرق الحدود وتجاوزها وخالف جمهور المحققين العلماء في كثير من المسائل». [اللمعات اللمعة التاسعة – ص: 53].

وأن الاعتراف بنبوته الناسخة لما قبلها والمهيمنة عليها يعد جزءا من عقيدة اليهود والنصارى وفي هذا المعنى يقول الأستاذ النورسي: «ثم إن كثيراً من علماء اليهود والنصارى قد أقروا: إن في كتبنا أوصاف النبي محمد ﷺ، منهم هرقل من ملوك الروم الذي اعترف قائلاً: «إن عيسى عليه السلام قد بشّر بمحمد ﷺ» كما اعترف صاحب مصر [المقوقس، وابن صوريا، وابن أخطب وأخوه كعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود] ورؤسائهم قائلين: [نعم، إن أوصافه موجودة في كتبنا، ومذكورة فيها].كما أن كثيراً من مشاهير علماء اليهود والنصارى قد نبذوا الخصومة والعناد وآمنوا بالإسلام بعدما رأوا أوصاف النبي ﷺ في كتبهم، وبيّنوها لغيرهم من العلماء، فألزموهم الحجة. منهم: عبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، ...كما آمن من علماء اليهود: ابن ياسين، ومخيريق، وكعب الأحبار، وأمثالهم كثير ممن رأوا نعت الرسول ﷺ في كتبهم وألزموا الحجة من لم يؤمنوا...وأمثال هؤلاء كثير مثل سلمان الفارسي الذي كان نصرانياً، وما إن رأى أوصافه ﷺ حتى أخذ يتحرى عنه ولما رآه أسلم. وكذلك تميم وهو عالم جليل، والنجاشي ملك الحبشة المشهور، ونصارى الحبشة، وأساقفة نجران.. فهؤلاء كلهم يخبرون بالاتفاق: إننا آمنا لما رأينا أوصافه ﷺ في كتبنا»(1).

وفي ضوء هذه الشهادات التي نقلها الأستاذ يمكننا القول بأن موقف الأستاذ من التعددية الدينية واضح وضوح هذه الشهادات التي يقر فيها أصحابها بأحقية رسالة الإسلام، ووجوب الدخول في كنفها على من بلغته من أهل الأديان الأخرى، ولكن الذي يريده أنصار التعددية الدينية أمر غير هذا!

(1) المكتوبات المكتوب التاسع عشر – ص: 220، 222.

ومن التطبيقات العملية لقاعدة تصور الإسلام لتعدد الأديان ما جاء في وثيقة المدينة من أن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم[1]، وقس على ذلك بنود الفتح أو الصلح التي أمضاها المسلمون الفاتحون مع أهالي البلاد المفتوحة، يقول ول ديورانت: «ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزرادشتيون واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم،.... وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدين الجديد معظم المسيحيين، وجميع الزرادشتيين، والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود في آسية، ومصر وشمالي أفريقية»[2].

(1) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، 1375هـ – 1955 م ج1 ص503.

(2) قصة الحضارة ويليام جيمس ديورَانت تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس عام النشر: 1408 هـ – 1988 م ج13 ص 130.

المبحث الثاني:
نظرة الإسلام إلى الآخر في فكر بديع الزمان
(موقف النورسي من التعددية الدينية)

سنقوم في هذا المبحث بعرض موقف الأستاذ بديع الزمان النورسي من التعددية الدينية، من خلال الدراسة الاستقصائية لجملة النصوص الواردة في كليات رسائل النور، والتي نرى أن لها علاقة بموضوع التعددية الدينية بالمعنى الفلسفي المتعارف عليه في الغرب، وفي بعض الدوائر الإسلامية المتأثرة بالحداثة الغربية، ونشير في هذا السياق أن مصطلح «التعددية الدينية» لم يرد في كتابات الأستاذ في حدود ما اطلعنا عليه، ولكن يفهم من بعض السياقات الواردة في كليات رسائل النور أن لها علاقة بهذا الموضوع، كما حدث مع موضوع الرد على منكري الالوهية على ما ذكره الأستاذ إبراهيم ديب الدباغ في استهلال كتاب «المثنوي العربي النوري» حيث يقول: و«النورسي» وإن لم يكن قد استعرض تصورات العقليين للألوهية والربوبية، وتصورات غيرهم من أصحاب الأديان والمذاهب والنحَل إلا أننا نحسُّ من خلال كلامه عن أسماء الله تعالى وصفاته، وكأنه يردّ - ضمناً - على هذه التصورات المنحرفة، ويفندها الواحدة تلو الأخرى.»[1]

ونحن بدورنا نقول بأن النورسي وإن لم يكن قد استعرض أقوال واستدلالات أصحاب القول بالتعددية الدينية إلا أننا وجدنا من خلال كلامه على حقانية الإسلام وهيمنته على جميع الأديان ما يجعلنا نأمل في صياغة منظومة معرفية نجلي من خلالها معالم منهج الأستاذ النورسي في رده على القائلين بالتعددية الدينية.

نشير إلى أن عملنا في هذا البحث يقوم على عنونة وتحليل ما ورد في كليات رسائل النور مما له علاقة بموضوع التعددية الدينية، ومحاولة استخلاص معالم هذه النظرة

(1) المثنوي العربي النوري – ص: 16.

وصياغتها في وحدة موضوعية متناغمة تصب في الإطار العام لمنهج الأستاذ في التعامل مع المخالف في الدين، ذلك أن كتابات الأستاذ لم تخل من دعوة الإنسانية إلى تحمل اختلافاتها، والعمل على التعايش في ظل المشترك الإنساني وحرية التعبير والعقيدة والصلح والتسامح... ولذلك سيكون عملنا في هذا المبحث منصبا على محاولة الإجابة على السؤال المحوري الذي صدرنا به البحث وهو: هل يمكن أن يصل التسامح والعفو الذي عرف به بديع الزمان النورسي في حياته العلمية والدعوية إلى درجة الاصطفاف في محور القائلين بالتعددية الدينية؟

لقد أفضت مطالعة ما يتعلق بهذا الموضوع في كليات رسائل النور إلى جملة من المعالم الموضوعية التي يمكن من خلالها صياغة رؤية معرفية نورية لمسألة التعددية الدينية وقد جاءت هذه المعالم على الشكل الآتي:

أولا: انحصار الحق في دين الإسلام وعودة النصرانية إليه في آخر الزمان

لعل أهم الأركان التي تقوم عليها التعددية الدينية في الفكر الفلسفي المعاصر ركن حقانية الأديان وصوابيتها، ليس الأديان السماوية فحسب بل كل مظاهر التدين المفضية إلى استشعار الموجود الأسمى والقوة العليا المعبر عنها بالمعبود أو الإله تكون متضمنة لجوهر الدين وبالتالي فهي حق وصواب، وإذا ما جئنا إلى الأستاذ بديع الزمان نجده يصرح بدون مواربة أن الحق منحصر في دين واحد وما عداه من الأديان فهو باطل وما عليه إلا الإذعان والرجوع إلى الدين الحق، وإذا كانت النصرانية وهي أقرب الأديان إلى الإسلام من الناحية التاريخية غير معترف لها بالصوابية والحقانية بعد مجيء الإسلام فما بالك بالأديان الوثنية يقول النورسي: «وهكذا ففي مثل هذه الفترة، وحينما يبدو ذلك التيار قوياً شديداً يظهر الدين الحق الذي أتى به عيسى عليه السلام، والذي هو الشخصية المعنوية لسيدنا عيسى عليه السلام، أي ينزل من سماء الرحمة الإلهية، فتتصفى النصرانية الحاضرة تجاه تلك الحقيقة وتتجرد من الخرافات والتحريفات وتتحد مع حقائق الإسلام، أي أن النصرانية ستنقلب معنى إلى نوع من الإسلام،

فذلك الشخص المعنوي للنصرانية يكون تابعاً، باقتدائه بالقرآن الكريم ويظل الإسلام في مقام الإمام المتبوع»[1].

ويتخذ النورسي من قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾[التوبة 33] دليلا على عدم اعتبار أي دين خارج دائرة الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ وفي هذا المعنى يقول: «هذه الآية تخبر إخباراً قاطعاً: إن الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ سيظهر على الأديان كلها، علماً أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس كانت أدياناً رسمية لدول كبرى كالصين وإيران وروما، والرسول الكريم ﷺ لم يظهر بعدُ ظهوراً تاماً على قبيلته نفسها. فالآية الكريمة تخبر عن ظهور دينه على الأديان كافة وعلى الدول كافة، بل تخبر عن هذا الظهور بكل يقين وجزم إخبارا قاطعاً .ولقد صدّق المستقبل هذا الخبر الغيبي بامتداد سيف الإسلام من بحر المحيط الشرقي إلى بحر المحيط الغربي.»[2]

وفي ظل مقولة حقانية الإسلام وبطلان ما سواه من الأديان بعد مجيئه، يعتقد المسلمون وفق ما ورد لديهم من نصوص نبوية صحيحة أن عيسى عليه الصلاة والسلام سينزل في آخر الزمان ويكسر الصليب ويقاتل قوى الكفر والإلحاد تحت راية قائد مسلم فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، وَإِمَامًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[3]، وفي هذا المعنى يقول النورسي: «استعداد لتدمير تيار الإلحاد تدميراً كاملاً .ففي هذه الأثناء يتولى شخص عيسى عليه السلام الموجود بجسمه البشري في عالم السموات قيادة تيار ذلك الدين الحق. اخبر بهذا مخبر صادق استناداً إلى

(1) المكتوبات المكتوب الخامس عشر – ص: 71.

(2) اللمعة السابعة – ص: 42.

(3) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وعد من لدن قدير على كل شيء، وإذ هو قد أخبر، فالأمر حق لا ريب فيه .وإذا وعد به القدير على كل شيء، فلاشك أنه سينجزه.»[1]

ثانيا: لا مقارنة بين الإسلام والنصرانية المحرفة

يستند القائلون بالتعددية الدينية على صواب مذهبهم إلى بعض النصوص القرآنية[2] التي فهموا منها أن القرآن قد أقر من خلالها بالتعدد الديني وصوابية الأديان المختلفة عن الإسلام مثل قوله ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾**﴾ [البقرة 62].

ونحن نرى أن الاستدلال بالآية لإثبات حقانية التعددية بمعناها المعاصر خطأ من عدّة جوانب هي:

الأولى: أن التعددية بمعناها المعاصر لم تكن معروفة وقت نزول الوحي، بل كانت مرفوضة حتى في ارهاصاتها ومقدماتها وحادثة الصحيفة من التوراة التي جاء بها عمر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ عنه خير دليل على هذا فقد ورد في مسند أحمد أن عُمرَ بنَ الْخَطَّابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ، أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: عَبْدُ الله يَعْنِي ابْنَ ثَابِتٍ فَقُلْتُ: لَهُ أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِالله تَعَالَى رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «وَالَّذِي

(1) المكتوبات، المكتوب الخامس عشر – ص: 72.

(2) ينظر: التعددية الدينية نقد وتحليل جعفر السبحاني مجلة التوحيد العدد 105 السنة التاسعة 1421ه/ 2000م ص8.

نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»(1).

الثانية: أقوال المفسرين مجمعة على خلاف هذا الفهم وأن الآية نزلت في حق من ماتوا مؤمنين على تلك الأديان قبل مجيء الديانة الناسخة لما قبلها(2).

الثالثة: هذه الآية قد جاءت في سياق الرد على اليهود والنصارى اختصاصهم بالهداية والنجاة في قولهم: ﴿ **وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ** ﴾ [البقرة 135] وادعائهم أيضا فيما حكى الله ﷻ عنهم: ﴿ **وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ** ﴾ [البقرة 111] فجاءت الآية السابقة ردا عليهم في هذا الزعم الباطل الذي لا دليل عليه. وقد صرح المودودي أن فهم الآية بطريقة التعددية من أكبر الافتراءات التي قيلت في حق القرآن(3).

أما بالنسبة للأستاذ النورسي فالإجابة على هذا الإشكال عنده تنبني على محورين:

المحور الأول: يمكن أن نطلق على هذا المحور مصطلح محور العقيدة وفيه يُبين الأستاذ أنه لا يمكن بأي حال الجمع بصوابية دينين أحدهما يقوم على التوحيد والآخر يقوم على التثليث، أو أحدهما يقوم على نفي الشركاء والوسائط بين الخالق والمخلوق والآخر يقيم جوهر عقيدته على الوسائط والشركاء لله، وقد عبّر الأستاذ عن هذه المعاني الدقيقة بقوله: «وسر الحكمة والفرق الأساس بين الإسلام وسائر الأديان،

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل حديث رقم: 15864 المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م ج25 ص198.

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ ج1 ص72.

(3) التعددية الدينية (نقد وتحليل) جعفر السبحاني ص8.

ومنها النصرانية هو الآتي: إن أساس الإسلام هو التوحيد الخالص، فلا يسند التأثير الحقيقي إلى الأسباب أو الوسائط ولا قيمة لها في الإسلام من حيث الإيجاد والخلق. أما في النصرانية، فإن فكرة البنوة التي ارتضوها، تعطي أهمية للوسائط وقيمة للأسباب، فلا تكسر الغرور والتكبر بل يسند قسطاً من الربوبية والإلهية إلى الأحبار والرهبان، حتى صدق عليهم قوله تعالى: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة: 31]»[1].

يقول الأستاذ النورسي: «إن أساس النصرانية الحاضرة - لا النصرانية الحقة - وأساس الإسلام يفترقان في نقطة مهمة، لذا يسلك كل منهما طريقاً مغايرةً لطريق الآخر في كثير من الجهات الشبيهة بالفروق السابقة. وتلك النقطة المهمة هي: استحالة تلاقي التوحيد مع التثليث»[2].

المحور الثاني: ويمكن أن نطلق عليه المحور التشريعي ومفاده أن مقارنة النصرانية المحرفة التي ثار عليها الغربيون بعد ظلام القرون الوسطى بالإسلام لا يجوز من الناحية المنطقية لأنه قياس مع الفارق، ومقارنة مع اختلاف الموضوع وكلاهما باطل وفي هذا المعنى يقول الأستاذ: «إن قياس الإسلام بالنصرانية، قياس مع الفارق، وهو قياس خطأ محض. لأن اوروبا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التعصب والالتزام بدينها تحضرت. ولقد أثار التعصب الديني لدى أوروبا نزاعات داخلية دامت ثلاثمائة سنة، وكان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سحق العوام وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد لدى عامة الناس نوع من السخط على الدين. أما في الإسلام- والتاريخ شاهد - فلم يصبح الدين سبباً للنزاع الداخلي إلا مرة واحدة فقط، وقد ترقى المسلمون - بالنسبة لذلك الوقت - رقياً عظيماً ما ملكوا الدين واعتصموا به. والشاهد على هذا؛

(1) المكتوبات ص 419.

(2) المكتوبات ص 562.

الدولة الإسلامية في الأندلس التي غدت أستاذة عظيمة لأوروبا. ولكن متى ما أهمل المسلمون دينهم تخلّفوا وتردّوا.»[1]

ثالثا: التعددية ومعقولية التجارب الدينية

يرى التعدديون بأن مقولة معقولية الأديان رغم تناقضاتها الظاهرية لها ما يسندها من الناحية المنطقية حين الحديث عن حقانية الأديان من حيث جوهرها ولبها الذي ينشد الموجود الأعلى في أي صورة كان هذا النشدان[2] ومصدر هذا الحكم لديهم قائم على التمييز بين جوهر الدين والتجربة الدينية، فالجوهر واحد يتمثل في نشدان الموجود الأعلى «الإله»، أما التجربة الدينية فيمكن أن تكون توحيدا أو تثليثا أو حتى وثنية[3]، وما يوجد بين هذه التجارب من تناقضات ليست كذلك من وجهة نظر التعدديين وإنما هي اختلافات على مستوى ملبوسات الجوهر، أي أن الجوهر واحد واللباس مختلف وبالتالي فلا تناقض حقيقي بين الأديان المختلفة!

ولقد أشار النورسي في غير ما موضع من رسائله إلى بطلان هذا الرأي وعدم معقوليته من الأساس مبرزا الفارق المهم بين الإسلام وغيره من الأديان التي يدعي أصحاب مقولة التعددية أنها تخرج من مشكاة جوهر الدين المتحد فيقول مثلا: «القرآن وحي من الله، لا يدانيه أسلوب البشر، وهو في الوقت عينه، ثورة عقيدية، هذه الثورة العقيدية لا تعترف - لا بالبابا ولا أي مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة، حيث لم يشعر الإسلام يوما بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي. فإذا قارنا الإسلام باليهودية والمسيحية نجد بعض الخطوط المميزة والتي لا تبدو مطابقة تماماً خاصة مع المسيحية . فالنظام المسيحي اليهودي يخالف الإسلام حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشري، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين ملئ

---

(1) المكتوبات ص 418.

(2) ينظر: الصراطات المستقيمة، عبد الكريم سروش، مرجع سابق ص89.

(3) ينظر: المرجع السابق ص 7.

بالواسطة ..ولا شيء من هذا يتفق مع الإسلام. فمحمد ﷺ مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بإنكار دعوات كل من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر في تنقيتهما على ما جاء في القرآن»[1].

رابعا: التعددية الدينية وإشكالية أهل الفترة

أهل الفترة هم الناس الذين يعيشون في فترة الفراغ الوحياني، ويرى التعدديون أن وجود أمثال هؤلاء يعد مبررا قويا لتبني التعددية الدينية كحل لمشكلة وجودهم في كل الحقب التاريخية، وإلا فما موقف الإسلام ممن لم تبلغه دعوة التوحيد أو بلغته مشوَّهة؟ بمعنى آخر: ألا يؤدي القول بالإنحصارية إلى الظلم الإلهي لمن لم تبلغهم دعوة الله ﷻ؟ لقد أجاب القرآن على هذا السؤال بكل وضوح في قول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء 15].

قال الطبري: «إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبر، أو يأتيه من الله بيِّنة، وليس معذّبا أحدا إلا بذنبه»[2].

وقال القرطبي: «من لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل، والله أعلم.»[3].

كما أن للأستاذ النورسي رأي في القضية حيث يقول: «الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الاسراء:15] تبين أن أهل الفترة يكونون من أهل النجاة،

(1) إشارات الإعجاز – ص: 273.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن محمد بن جرير الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م ج17 ص 402.

(3) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م ج10 ص232.

فلا يؤاخَذون بخطاياهم في الفروع، بالاتفاق، بل هم أهل نجاة عند الإمام الشافعي، والإمام الأشعري، حتى لو وقعوا في الكفر وليس لهم أصول الإيمان، لان التكليف الإلهي يكون ببعثة الرسل، ويتقرر التكليف بالاطلاع على البعثة. وحيث أن الغفلة ومرور الزمان قد سترا أديان الأنبياء السابقين، فلا تكون هذه الأديان حجةً على أهل زمن الفترة، فان أطاعوا يثابون، وإن لم يطيعوا لا يعذّبون، لأنها لا تكون حجة مادامت مستورة غير ظاهرة»[1].

خامسا: التعددية الدينية وقيم التسامح والمحبة

يرى أنصار التعددية الدينية أنها أحسن وسيلة لنشر قيم التسامح والمحبة، وبدون هذه التعددية سيتحول العالم إلى جحيم لا يطاق بسبب تمسك أهل كل دين بموقفهم الإنحصاري الرافض لحقانية غيره من الأديان[2].

ويرى الأستاذ النورسي أن سعي الإسلام إلى نشر قيم المحبة بين الناس لا يعني بالضرورة الاعتراف بما هم عليه من أديان باطلة، وهو يميز في هذا المستوى بين المحبة التي سببها الدين والمحبة التي سببها المنافع الإنسانية حيث يقول: «وأيضا، إن كان الحكم قائماً على المشتق، فانه يفيد علّية مأخذ الاشتقاق للحكم. فإذن المنهيّ عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية ..أيضا، لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعته، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفةٍ من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعته كافرة أيضا»[3].

ويقول في المثنوي العربي النوري «والسر: أن المؤمن بسر الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كل الكائنات، وإنسية وتحببا بين أجزائها، لاسيما بين الآدميين ولاسيما بين

(1) المكتوبات 497.

(2) ينظر: الصراطات المستقيمة عبد الكريم سروش ص 34.

(3) صيقل الإسلام/ المناظرات – ص: 400.

المؤمنين .ويرى أخوة في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل»[1].

سادسا: مداهنة التعددية وصرامة الإسلام

يرى القائلون بالتعددية أن هذا التوجه سيعطي ضمانات أكبر للآخرين من أجل الاقتناع بقيم ديننا الحنيف وعقد مصالحة معه[2] وهو ما يخالفهم فيه النورسي إذ يرى أن الإسلام في غنى عن مثل هذه المداهنات ويكفيه أن يصل إلى كل الناس في طبق نظيف من أجل أن يتناولوه بصحة واطمئنان، وهذه هي وظيفة المسلمين الأساسية في هذه الأزمنة المتأخرة حيث يقول: «ولم يشهد التأريخ منذ العصر النبوي السعيد الى الآن ان رجّح مسلم ديناً آخر على الإسلام بمحاكمته العقلية، أو دخل ديناً آخر بدليل عقلي. نعم !هناك من يمرق من الدين، فتلك مسألة أخرى.. أما التقليد فلا أهمية له ...بينما منتسبو سائر الأديان قد دخلوا ويدخلون حظيرة الإسلام أفواجا أفواجاً بالمحاكمة العقلية والبراهين القاطعة، فإذا ما أريناهم الإسلام الصادق المستقيم، والصدق والاستقامة اللائقين بالإسلام، فسوف يدخلون في الإسلام أفواجاً.»[3].

كما يؤكد هذا المعنى الراقي لإسلام التسامح والمحبة بقوله: «ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام»[4].

(1) المثنوي العربي النوري – ص: 181.

(2) ينظر: الصراطات المستقيمة عبد الكريم سروش مرجع سابق ص 37.

(3) صيقل الإسلام/ المناظرات – ص: 407.

(4) صيقل الإسلام/ الخطبة الشامية – ص: 494.

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة في رحاب كليات رسائل النور، بحثا في ثناياها عن معالم معرفية يمكن اتخاذها كمؤشرات لمنهج الأستاذ في التعامل مع قضية التعددية الدينية، يمكن القول بأن رسائل النور قد تضمنت هذه المعالم المنهجية ولو بصورة غير مباشرة، من خلال ما كتبه الأستاذ من قضايا وآراء تتعلق بالإشكالات التي طرحتها التعددية الدينية في الفكر الفلسفي المعاصر، وكخلاصة لما سبق يمكن صياغة هذه المعالم في النقاط الآتية:

1/ تعدد الأديان واختلافها ظاهرة بشرية تحدث عنها القرآن في سياق بيان السنن الكونية، وهي غير التعددية الدينية التي دعا إليها بعض العلماء والمفكرين قديما وحديثا بوصفها ظاهرة صحية، ترى في كل الأديان السماوية والوضعية، الصحيحة والمحرفة جانبا من الصوابية والحقانية.

2/ للإسلام موقف ثابت وواضح من قضية تعدد الأديان، وهو أن الحقيقة الدينية لا يمكن أن تتعدد مصادرها وبالتالي لا يمكن أن يقع التناقض بين الأديان ذات المصدر الواحد مصداقا لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران 19]، ولكن رغم هذا الموقف فقد دعا الإسلام أهل الأديان إلى طاولة الحوار والجدال بالتي هي أحسن، والاجتماع على المشترك الإنساني المتوافق مع الفطرة التي خلق عليها البشر.

3/ إذا كان أنصار التعددية يدعون إلى اعتراف أصحاب الديانات بالصوابية والحقانية لبعضهم البعض، فإن النورسي يخالفهم في ذلك، ويقرر في أكثر من موضع من رسائله على أن الحق منحصر في الإسلام، وأن النصرانية التي يعتنقها الكثير من البشر ستعود إلى الإسلام في آخر الزمان.

4/ إذا كان أنصار التعددية يعتمدون على بعض آي القرآن في الاستدلال على صواب رأيهم في الجمع بين حقانية الإسلام والنصرانية المحرفة، فهذا لا يعني أنهم على حق، وقد ردّ النورسي على هذا الفهم السقيم على محورين، سمينا الأول محور العقيدة وفيه بيّن النورسي استحالة الجمع بين التوحيد والتثليث، ومحور التشريع، وفيه بيّن النورسي استحالة التسوية بين تشريع محرف خاضع لأهواء رجال الدين، وتشريع محفوظ من التحريف والتزييف بفضل الروح النقدية التي بثتها نصوصه في أتباعه.

5/ بطلان القول بأن عقائد وشرائع الأديان تمثل قشور الأديان المختلفة، ولا تضر تناقضاتها مادام جوهر الدين واحدا، وهو نشدان البشر للقوة العليا، ولا يهم أن يجدها البعض في التوحيد أو التثليث، أو في الطوطم أو الصنم أو غيرها من صور الوثنية.

6/ الإسلام في منظومته المعرفية وانعكاساتها على واقع السلوك العملي مبني على قيم التسامح والمحبة، ولا يحتاج في ذلك إلى الإقرار بصوابية الأديان المخالفة له، والتي قررت مصادر تشريعه بطلانها، وكفى بقوله ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون 6] دليلا على هذه القيمة المعرفية والسلوكية العظيمة.

7/ لا يحتاج الإسلام إلى القفز على مبادئه، والاعتماد على المداهنة من أجل طمأنة الآخر المختلف دينيا، وإعطائه ضمانات على تفهم الإسلام لغيره من الأديان، وقبولها على وجه الاعتراف بحقانيتها وصوابيتها، بل يكفي أن يلتزم المسلمون بالقيم السامية لدينهم، وسيكون ذلك بمثابة تقديمهم لهذا الدين كوجبة شهية على طبق نظيف يسر الناظرين، ويدعوهم إلى تناوله عن وأريحية تامة.